الدكتور المحاسنى
هذا الوجدان المشبوب

للاستاذ أنور الجندى - مصر -
أديب السيرة والأعلام ومؤلف
الموسوعة الكبرى فى أدبنا المعاصر

نحن بإزاء رجل مشبوب العاطفة، صادق الوجدان، يعيش على مشاعره واشواقه الروحية، فهو شاعر بكل معنى الكمة حتى ولو كتب النثر أو الف فى الدراسات العقلية، تلك طبيعته الغالبة التى تفوق كل معطياته الانسانية، يلقاك فيحتفى بك وتحس من حركات يديه والفاظه وإشراق وجهه ومنطق الفاظه بل وكل حركات جسمه بذلك الشوق والوفاء، وذلك الطابع العميق من الحنان والحب، وهو بهذا الوجدان المشبوب يعالج امور الحياة ويواجه كل تصاريف الاقدار، فاذا كتب فانه ينحو منحى شعراء العاطفة وأدباء الوجدان، واذا تكلم أحسست بذلك التدفق المندفع السمح، واذا تصرف ملأ الدنيا حياة

حياة وحركة وضجيجاً، وعلى هذا النحو كان يصدر فى كل أموره، وبالرغم من أنه كتب (نثرا) ونقد كتبا وكتب فى الاسلاميات وفى الاجتماعيات والاخوانيات فقد ظل ذلك الشاعر المشبوب العاطفة العميق الوجدان.

تلك هى الصورة التى بقيت مطبوعة فى نفسى منذ لقيت الدكتور زكى المحاسنى اول مرة، وحتى اخر لقاء لنا معه فى القاهرة وكان يزورها ليلقى محاضراته عن الدكتور عبد الوهاب عزام فى معهد الدراسات العربية والبحوث، بعد ان القى محاضرات من قبل فى نفس المعهد عن احمد امين.

وقد ارتبط الدكتور المحاسنى بطوابع تفكيره وحياته. واتسق معها اتساقاً تاما، فهو يحب الادب الفرنسى ويستشهد بروائعه ونوابغه، وهو معجب بالادب الفرنسى لانه ادب الوجدان والعاطفة المشبوبة، ثم هو شاعر له ملحمة وقصائد تجعله فى طليعة نوابغ الشعراء وقدوجه سنواته الاخيرة لانشاء «الياذة» عربية اسلامية فبلغ فى ذلك مبلغا عاليا وقدم حلقات متعددة فى تاريخنا على نحو مشبوب بالعاطفة والايمان والحماسة للعرب الذين قادوا المعارك وكان القرآن فى ايمانهم ورسالتهم وهو حين يكتب يتحدث عن شعر الحرب لانه متصل بالوجدان المشبوب فاذا هو يدرس صيال السيوف وصهيل الخيول فى العصرين الاموى والعباسى ويقف عند سيف الدولة الذى خلق شعره أبو الطيب المتنبى. ثم هو معنى أيضا بهذه البطولات: بطولة المتنبى فى

شعر الحروب وبطولة ابى العلاء فى نقد المجتمع وهو معنى بهذا الطابع، وهذا اللون حتى فى مجال تحقيق التراث، حيث تجده يختار ديوان الشريف العقيلى الشاعر المشبوب العاطفة الصادق الوجدان.

وفى ادب العصر الحديث تجده معجبا بالادباء الذين يغلب عليهم طابع العاطفة والوجدان فيحب زكى مبارك والعقاد وأمين نخلة والشبيبى والشابى.

وهو لا يبخل على من يصدقه الود فيه شعره ونثره محييا مكرما، وكذلك تجرى عاطفته الدينية ايمانا وحبا ووفاءاً للارض المقدسة والبيت الحرام والكعبة ومن حولها من الكرام الذين اشادوا بأدبه واحسنوا وفادته.

وفى السنوات الاخيرة من حياة الدكتور المحاسنى ملأ المجلات العربية بابحاثه فكنت حيث تقلب صحف المغرب او المملكة السعودية أو مصر أو غيرها تجد قصائده وكتاباته وقد عنى بتسجيل كثير من ذكرياته ولقاءاته مع الاصدقاء والاعلام.

واسلوبه فى كتاباته هو اسلوب الخطباء فقد بدا حياته محاميا وقد دافع عن حقوق الناس أمام القضاء ثم دافع عن حقوق العرب على منابر الادب والصحف.

وكان له المام وافر واهتمام كبير بدراسات اللغة العربية ومقارنتها باللغة الفرنسية مما أهّله لأن يكون عضوا فى مجمع اللغة العربية بمصر والمجمع الملكى الادبى الاسبانى.

وكان المحاسني يحب مصر حبا يفوق كل حد، وكان شوقه الى النيل يدفعه دائما صوب القاهرة فقضى اغلب ايام عمله بها، وله فيها شعر واحاديث، وكان من اوفى الاوفياء لاهل مصر وادبائها وكل من يعقد صداقة معه فكانما يعقد صداقة مع الشام كله.

وكذلك كانت كتاباته فى نقد الأدب ومراجعة المؤلفات، كانت دائما تغلب عليه الحقيقة والصداقة، ولقد كانت مجلة الأديب منذ ظهورها مسرحاً لانتاج المحاسني وكتاباته حتى لا يكاد يغيب عن عدد منها الا قليلا.

ولقد كان المحاسني منذ مطالع حياته الادبية نابغة فى جمعه بين دراسة الحقوق والآداب، وجمعه بين الدراسة فى جامعة دمشق وجامعة القاهرة.

وكانت أطروحته فى جامعة القاهرة موضع خصومة بين المعسكرات المتخالفة فأحرزها بتفوق وانتزعها بقوة دراسته وحجته.

وهكذا عاش المحاسني الذى ولد ١٩٠٩ والذى توفاه الله ١٩٧٢ حياة عريضة مليئة بالحيوية والحركة بين الجامعات المختلفة والصحف المختلفة والدراسات المختلفة لم يتوقف لحظة عن العمل والنظر فى انتاج الاجيال. وكان عمله الاصيل هو تدريس أدب اللغة العربية فى دمشق والقاهرة وبيروت.

وكانت العقلية الأدبية وداد سكاكيني وهى من الرائدات المعدودات فى أدب المرأة العربية الحديثة خير معين لهذا القلب

الفياض بالخير والبذل، وهو خير عماد ثابت وطيد لهذه النفس الطموح المتدافعة فى تدفق غريب.

ولقد قدم المحاسنى تراثاً ثرا وانتاجاً ضخما، سيظل موضع دراسة الاجيال وترك فى نفوس عارفيه صورة مثلى للحنان والوفاء والحب والاخاء فبكته العيون حين فارق على عجل، وحين ذهب فى وقت كان يظن معه أن العمر لايزال له بقية.

وتلك حكمة الله العالية التى نتقبلها بالرضى فلكل مهمته التى اذا انتهت مضى، واذا تمت ذهب الى وديعة الله.

ولعل الباحث النفسى يستطيع أن يجد فى خلفيات حياة المحاسنى تفسيراً لطابعه الوجدانى الدافق، ذلك هو وفاة والده وهو فى سن صغيرة فعاش حياته يشعر بذلك اليتم الاليم قائلا توفى والدى وعمرى سنتان ولم يترك لى صورة أراه فيها فعاش حياته يشعر بذلك اليتم الأليم وقال:

ولم يترك لى صورة أراه فيها فآلمنى فقد خياله وان كان باهتا فى وجهه الحبيب وعشت يتيما ترعانى أمى الحنون ويحدب على أخو والدى فكان يرد فى رعايته ما كان صنعه له وهو صغير».

«ثم ماتت امى قبل ان تذوق من كسبى ما ينسيها مرارة الليالى التى سهرتها من اجلى فعشت بعدها باكيا عليها فى شعرى وكانت حنونا رؤوما ولن أستطيع أن أنساها حتى اموت، وانى لاحيا كل يوم ناظرا الى محياها الباسم من وراء الغيوب».

تلك هى صورة النفس الحساسة الشفافة الشعور فى مواجهة الحياة، ولم يكن الدكتور المحاسنى غافلا عن حكمة الله فى هذا الامر، ولكنه كان على طبيعته يجرى وراء الوجدان المشبوب، والعاطفة المتدفقة ولو انه نظر فى التاريخ لوجد أن اعاظم الرجال كانوا كذلك وان اليتم يبنى الرجال ولعله كان أكبر عامل من عوامل شخصيته القوية المتدفقة التى كانت تشمل أحبابها وأصدقاءها بذلك الحنان الدافق، وترى صورة هذا الحنان فى كل كلمة وفى كل شطرة شعر، وفى كل سطر، وفى تلك الابتسامة الحلوة التى كنا نراها على ثغرة فى الحياة وما زلنا نراها من وراء الغيب.

رحمة الله على الدكتور المحاسنى ومغفرة ورضوانا.

***